

أخبار علمية

مؤتمر "مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي"، منظم من طرف مركز الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، أيام 20، 21 و 22 مارس 2012، بوهران

نظّم المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (وهران، الجزائر) بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، لبنان) و الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس، تونس) مؤتمرا عربيا حول "مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي" في الفترة الممتدة مابين 20 إلى 22 مارس 2012. جمع هذا اللقاء المعرفي 32 باحثا (محاضرا و معقبا) من 11 دولة عربية هي: الجزائر الممثلة بثمانية باحثين، تونس الممثلة بستة باحثين، مصر الممثلة بخمسة باحثين، السعودية الممثلة بثلاثة باحثين، المغرب، لبنان و الأردن، الممثل كل واحد منهم بباحثين، و أخيرا فلسطين و العراق و اليمن و البحرين الممثلين بباحث واحد. أعطى هذا اللقاء الفرصة لتواجد 22 مؤسسة جامعية و بحثية¹. جاء هذا اللقاء العلمي ثمرة لشراكة فعّالة حول موضوع مستقبل العلوم الاجتماعية. و ضمن ظرف تاريخي حساس تمر به بعض الدول العربية - منذ سنتين على الأقل- من خلال تجلي العديد من أشكال الحراك السياسي والاجتماعي و الديمقراطي فيها.

لم تكن الغاية من هذه المؤتمر تقييم واقع العلوم الاجتماعية في الأقطار العربية المختلفة فقط، بل كانت تسعى إلى البحث في مستقبلها خصوصا في ظل تنامي الشعور بالعجز المعرفي و المنهجي في التنبؤ بما حدث في كل من مصر، تونس، اليمن، ليبيا، سوريا و بدرجة أقل البحرين. و كان الحديث عن المستقبل بالنسبة لأطراف الشراكة العلمية في تنظيم هذه الندوة من أهم المواضيع، حتى

¹ مركز Crasc، جامعة وهران، جامعة الجزائر 2، جامعة تيزي وزو، مركز دراسات الوحدة العربية، الجامعة الأردنية، الجامعة اللبنانية، جامعة تونس، جامعة صفاقص، جامعة القاهرة، جامعة بنها، جامعة سوهاج، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، جامعة صنعاء، جامعة بيرزيت، جامعة محمد الخامس، جامعة البحرين، مؤسسة عبد العزيز للدراسات الاجتماعية و الإنسانية بالمغرب، معهد الدراسات العراقية، مركز ابن خلدون، جامعة بيكاردي، جامعة ليون.

وإن غلب الحديث عن الماضي وتقييمه على العديد من الأوراق البحثية المقترحة، أو على المناقشات التي شهدتها قاعة المحاضرات.

عاجت الندوة من خلال ثلاثة محاور واثنتي عشرة جلسة جملة من المسائل التي طرحت موضوع التفكير في مستقبل العلوم الاجتماعية تارة و في مسألة تقييم إرثها الحالي تارة أخرى. و هذا المعطى بقدر ما سمح للطلبة الحاضرين من مختلف الجامعات الوطنية بالإطلاع و التعرف على ماضي الجدل حول العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، بقدر ما أعاد إنتاج جزء من التجاذبات الإيديولوجية و المعرفية السابقة سواء من أجل تبرير "فشل العلوم الاجتماعية" أو من أجل التذكير بأن النقاشات الحالية لا تزال حبيسة الماضي.

عالج الباحثون المحور الأول الموسوم "المرجعيات و التكوين في العلوم الاجتماعية" من خلال سبع جلسات، خصصت الأولى منها لمسألة "المرجعيات الغربية للعلوم الاجتماعية في الوطن العربي". و قد أثارت ورقة سعد الدين إبراهيم مناقشة حادة سواء من المعقب الذي أعاد فتح النقاش حول "من أجل علم اجتماع عربي" أو من خلال ردود فعل الباحثين الحاضرين. إن مسألة المرجعيات الغربية في العلوم الاجتماعية في الوطن العربي و إن طرحت من خلال ماضي التدريس و البحث في بعض الأقطار العربية إلا أن حاضر و مستقبل تلك المرجعيات بقيت الغائب الأكبر.

أما بالنسبة لجلسة "المرجعيات العربية للعلوم الاجتماعية"، فقد أسس زبير عروس مداخلته انطلاقاً من وقائع الملتقيين² المنظمين من طرف Crasc حول "مستقبل الأنثروبولوجيا في الجزائر" (1999) و حول "حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية في الجزائر"، في محاولة لتقييم التقاليد المعرفية في العلوم الاجتماعية في بلدان المغرب العربي (الجزائر، تونس و المغرب)، ليعرج على حالة العلوم الاجتماعية في الجزائر بداية من الإرث الكولونيالي و ما تبعته تلك العلوم بعد الاستقلال إلى غاية بداية سيطرة النظرة الإقتصادية و التكنولوجية المهمشة لمكانتها مع بداية سياسيات المخططات التنموية.

² أنظر معروف، نذير (2002)، و آخرون، مستقبل الأنثروبولوجيا في الجزائر، أعمال الملتقى، وهران، منشورات Crasc، و بنغبريط-رمعون، نورية و حدّاب، مصطفى (2008)، الجزائر بعد 50 سنة: حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، أعمال الملتقى، وهران، منشورات Crasc.

خصصت الجلسة الثالثة لـ "السؤال اللساني، اللغة و الكتابة في العلوم الاجتماعية"، و قد أثار مداخلتنا خولة طالب الإبراهيمي و محسن بوغزيري المسألة اللغوية في علاقاتها مع المرجعيات اللغوية المختلفة للعلوم الاجتماعية. تمثل إشكاليتنا المصطلح "كمؤشر لمفهوم مستورد" و "كترجمة إلى اللغة العربية" بالنسبة للباحثة الأولى إحدى الرهانات الملحة التي يجب العمل ضمنها لتحرير اللغة السوسولوجية العربية من ثلوث الخطاب اللاهوتي، الأيديولوجي و الإنشائي الأدبي. في حين أن مداخلة الباحث الثاني صبت في السياق نفسه، بناء على تساؤل محوري هو "هل كتبت الجماعة العلمية السوسولوجية العربية معرفتها؟".

اعتنتت الجلسات الرابعة، الخامسة و السادسة بمسألة التكوين في العلوم الاجتماعية من خلال عرض حالات "دول الخليج العربي"، "دول المشرق العربي" و "دول المغرب العربي". و غلب على النقاشات منطق المقارنة بين الحالات الثلاثة و الردود المتباينة حول الحالة نفسها و على السجلات و التي عكست في غالب الأحيان حالة عدم معرفة كل مشارك بما يدور في غير قطره. لقد كانت الاختلافات في راهن و ماضي التكوين بين المناطق الثلاثة المذكورة غنية بالدروس و تستدعي النقاش الثري، فإذا كان تدريس علم الاجتماع و الفلسفة حسب ثريا التركي متأخرا في العديد من دول الخليج بسبب الريب المضاعف اتجاه هذه التخصصات سواء "لضعف علميتها" مقارنة مع التخصصات التقنية، خوف الخطاب الديني المتحفظ من مرجعيتها أو تجاهل الخطاب السياسي الرسمي لدورها، فإن الحالات المشرقية و المغاربية المقدمة من طرف أحمد موسى بدوي، فالح عبد الجبار، حسن رمعون و عمري لعروسي، تكاد تكون مختلفة تماما من حيث المسار التاريخي لتوطين هذه العلوم في مصر، العراق، تونس، الجزائر و المغرب و لكن متشابهة في المشاكل التي تواجهها حاليا هذه خصوصا من زاوية ضعف التكوين و تدني مستوى المكونين في العديد من الجامعات، بحيث يتجلى ذلك من خلال ضعف التكوين الجامعي للطلبة المقبلين على هذه التخصصات و ضعف في التحكم المنهجي الذي و النظري تعكسه البحوث، الرسائل الجامعية و دراسات الخبرة.

و اعتنتت الجلسة الأخيرة بمسألة "الفراغات المعرفية في العلوم الاجتماعية". و قد كان الهدف من برمجة هذه الجلسة، البحث و التطرق

للمواضيع، النظريات و المناهج غير المبحوث فيها، المستحيل البحث فيها، أي بعبارة أخرى ما لم تفكر فيه العلوم الاجتماعية في العالم العربي. لكن جاءت ورقة عديّ الهواري عكس ذلك تماما و لكن ضمن إشكالية الجلسة في العموم. لقد طرح الباحث المسألة إبستمولوجيا و تحدث عن "النقطة الإبستمولوجية المجهضة" في المعرفة في العالم الإسلامي و حالات التوتر الشديدة بين التيولوجيا والوضعية، من خلال نموذج محمد عبده (في كتابه رسالة التوحيد) و الذي يعتبر بالنسبة له نموذجا لتفسير الفراغات المعرفية في العلوم الاجتماعية.

عالم المحور الثاني الموسوم "أسئلة العلوم الاجتماعية" السؤالين "الديني" و "النسوي" من خلال مداخلتني محمد ابراهيم صالح و إصلاح حسنية جاد. ركز المتدخل الأول تساؤله حول الديني من خلال تقديمه لمسار تطور الأنثروبولوجيا الدينية في الجزائر بحثا و تدريسا. و قد اعتبر في هذا الإطار أن حقل البحث في "الديني" لم ينضج بعد، بسبب عدم نضج المعرفة الأنثروبولوجية في الجزائر، بينما ركزت المتدخلة الثانية على المسألة النسوية من خلال إثارة إشكالية مؤشرات القياس في التقارير التي تُعد حول النساء في العديد من البلدان العربية و التي تعتمد في غالب الأحيان مؤشرات إما غير متوافقة مع الحالة القطرية أو الجهوية أو العربية بصفة عامة. إن تعدد التقارير الإحصائية حول الحالة النسوية العربية، بقدر ما يفتح الباب لتعميق الدراسات الكمية حولهن، بقدر ما يفتح بابا آخر نقدي غايته إعادة النظر في المؤشرات خصوصا عندما تكون غير ملتصقة بالواقع المعيش.

اختتمت الندوة على فعاليات المحور الثالث الذي اهتم بـ "التحولات الاجتماعية و خطاب العلوم الاجتماعية"، و تطرقت المساهمة الأولى لجابي ناصر لمسألة النخب الوزارية في الجزائر في محاولة لرسم ملامحها الاجتماعية و الثقافية و السلطوية. و هذه المداخلة، حتى و إن لم تطرق باب الاحتجاجات إلا أنها فتحت المجال لمناقشة مسألة النخب في علاقاتها بالاحتجاجات المختلفة في الجزائر. أما المساهمة البحثية الثانية لخالد كاظم أبو دوح و التي عالجت موضوع "سوسيولوجيا الثورات العربية"، فقد أثارت نقاشا هاما حول مقدرة العلوم الاجتماعية نظريا و منهجيا على متابعة الحدث الثوري الآني و المتسارع.

ما ميز هذه الندوة إضافة إلى حضور العديد من الطلبة المقبلين على تحضير شهادات الدكتوراه من عديد الجامعات الجزائرية³ هي جلستا "تجارب المجالات العربية في العلوم الاجتماعية" التي تطرقت إلى ثلاثة نماذج هي مجلة إنسانيات (قدمها صوفي مطفي فؤاد)، مجلة إضافات (قدمها الطاهر لبيب) و مجلة مقدمات قدمها (عبد الرحمان رشيق) و جلسة الشهادات التي استمعت على الترتيب إلى المسار العلمي لكل من شهادات نذير معروف، سعد الدين إبراهيم و الطاهر لبيب.

إشكالية هذه الندوة ليست جديدة في عمومها و إنما تدخل في خانة استمرارية التساؤلات السابقة التي سبق التطرق لها حول مستقبل العلوم الاجتماعية. و إذا كانت هذه الندوة المنعقدة بوهران تمثل بالنسبة للجمعية العربية لعلم الاجتماع و بالنسبة لمركز دراسات الوحدة العربية، محطة جادة لتقييم مسار العلوم الاجتماعية وبالخصوص علم الاجتماع بعد أكثر من 27 سنة من ندوة تونس (يناير 1985) و التي كان موضوعها "نحو علم اجتماع عربي" و نشرت أعمالها سنة 1986، فإن الندوة في الوقت نفسه تمثل استمرارية لسلسلة من الندوات التي انعقدت في الجزائر و التي دأبت على تقييم العلوم الاجتماعية بداية من المؤتمر الدولي 24 لعلم الاجتماع المنظم بالجزائر العاصمة (من 25 إلى 30 مارس 1974) حول موضوع "التنمية في بلدان العالم الثالث و الدراسات السوسولوجية"⁴، إضافة إلى العديد من الملتقيات التي انعقدت بمعهد علم الاجتماع بوهران في ماي 1984⁵ أو بالتعاون بين المعهد نفسه و وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية URASC سنتي 1987 و 1988 حول العلوم الاجتماعية في العالم العربي⁶ أو التي نظمت من طرف وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية (قبل أن يتحول إلى مركز للبحث) أو الملتقى المنظم من

³ جامعة تلمسان، جامعة الجزائر 2، المركز الجامعي البيض، جامعة ورقلة، جامعة المسيلة، جامعة عنابة، جامعة سكيكدة، جامعة سطيف، جامعة مستغانم، جامعة سيدي بلعباس، جامعة معسكر.
⁴ الأعمال غير منشورة.

⁵ Colloque sur les sciences sociales aujourd'hui, (26,27 et 28) Université d'Oran, OPU, 1986.

⁶ Voir, - Aspects des sciences sociales dans le Monde Arabe, Document URASC, Oran, 1987.

-Tendances des sciences sociales dans le Monde Arabe, document URASC, Oran 1988.

طرف Crasc سنة 2004 حول "حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية في الجزائر بعد 50 سنة من ثورة أول نوفمبر 1954" و التي نشرت⁷ أعماله سنة 2008.

فؤاد نوار

الملتقى الوطني "راهن العلاقة بين التكوين و الشغل محل تساؤل"، المنظم من طرف قسم البحث - أنثروبولوجيا التربوية و نظم التكوين بالكراسك، بالتعاون مع مديرتي التشغيل والتكوين المهني بوهران، أيام 5 و 6 أكتوبر 2011

شكّل راهن العلاقة بين التكوين المهني و التشغيل، موضوع الملتقى الوطني المنظم من طرف قسم البحث أنثروبولوجيا التربية و نظم التكوين المنظم في مقر مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية بالشراكة مع المديرتين الولائيتين للتشغيل و التكوين المهني أيام 5 و 6 أكتوبر 2011. لم تأت إشكالية الملتقى من فراغ، بل جاءت لتبحث عن المقارنات الممكنة بين سلسلة النتائج التي تم التوصل إليها من فريق البحث⁸ الذي أشرف على دراسة راهن العلاقة محليا (وهران، تلمسان و غليزان) بين السياستين العموميتين المتمثلتين في التكوين و التشغيل، خلال الفترة الممتدة ما بين جانفي 2007 و ديسمبر 2009 مع دراسات مماثلة.

ما ينبغي التذكير به، هو أن النشاط العلمي لفريق البحث الذي أشرف على تنظيم هذا الملتقى كان مندرجا ضمن مشروع الشراكة العلمية المرتبط بأحد برامج التعاون المغربي الفرنسي⁹ الذي حاول تسليط الضوء على مدار ثلاث سنوات على تزايد الطلب الاجتماعي في الدول المغاربية (الجزائر، المغرب و تونس) و حالات

⁷ بنغبريط-رمعون، نورية، و حدّاب، مصطفى. (2008)، الجزائر بعد 50 سنة: حوصلة المعارف في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، أعمال الملتقى، وهران، منشورات Crasc.

⁸ بنغبريط-رمعون، نورية، بن عمّار، عائشة، مولاي الحاج، مراد، سنوسي، زبيدة، مجاهدي، مصطفى، نوار، فؤاد.

⁹ Projet intitulé, *L'Etat face aux débordements du social au Maghreb : formation, travail et protection sociale*, Fonds de Solidarité Prioritaire (FSP) 2007-2009, avec la participation du Crasc (Oran), Institut de Recherche sur le Monde Arabe et Musulman (IREMAM) d'Aix en Provence, Laboratoire d'économie et de sociologie du travail (LEST) d'Aix en Provence, Centre de Recherche en Economie Quantitative (CREQ) de l'Université de Marrakech et le Laboratoire d'économie des institutions et développement (LEID) de Rabat.

تدني منظومة الحماية الاجتماعية بالنسبة للعديد من الفئات المهنية و الاجتماعية التي وجدت نفسها ضمن حالات الهشاشة الاجتماعية¹⁰.

لقد عكس الملتقى الوطني حاجة الاستماع المتبادل و الضروري بين الباحثين و المسيرين للسياسات العمومية الخاصة بالتكوين المهني و التشغيل على المستوى المحلي (وهران) و الوطني (المُمثلة في مديرة مركزية للتكوين المتواصل بوزارة التكوين المهني)، و هذه الطريقة المقترحة من اللجنة العلمية للملتقى الوطني مثلت خطوة هامة لضمان التواصل الفعّال بين الخطاب الأكاديمي البحثي الذي تمثله النتائج الميدانية والنظرية لمختلف الأوراق المقبولة في الملتقى وخطاب المسيرين والمشرّفين على تنفيذ البرامج الحكومية.

حاول الملتقى معالجة إشكالية العلاقة الحالية بين التكوين و التشغيل من خلال خمسة محاور متربطة، ففي المحور الأول المعنون "التكوين و التشغيل: حوصلة معارف"، قسّمت المداخلات إلى قسمين اثنين حسب الهوية المهنية للمتدخلين (مسيرين للسياسات العمومية للتشغيل و التكوين محليا و وطنيا، و باحثين). تطرقت المجموعة الأولى من المتدخلين إلى واقع العلاقة الحالية بين التكوين و التشغيل على المستويين الوطني و المحلي، سواء من خلال عرض سياسة وزارة التكوين "لسيرورة التكوين و التعليم المهنيين من خلال الإشراف على نظام الطلب" (عقيلة شرقو، مديرة مركزية للتكوين المهني) أو من خلال طرح "عناصر للتفكير حول تجربة الشراكة التكوينية الألمانية الجزائرية" (مراد سادو، GIZ)، أو من خلال عرض مديرا التكوين و التشغيل لولاية وهران (كسال حكيم و بلحواشي محمد) صورة عن نماذج و أمثلة من التحديات الميدانية للتكوين و التشغيل في الولاية نفسها. بينما تطرقت المجموعة الثانية من المداخلات لواقع "بانوراما سوق العمل بالجزائر: التحديات الجديدة" (محمد صايب ميزات) و إلى مسألة "هامشية إشكالية التأهيل في نظامي التربية و التكوين" (نورية بنغبريط رمعون).

اهتم المحور الثاني الذي ضمّ 05 مداخلات ب "المحلي و التكوين التخصصي". و قد تطرق بصفة خاصة لدور المحلي في التأثير على التكوين و التشغيل. حُصّصت بداية جلسة هذا المحور، لتقديم قراءة في "الصناعة

¹⁰ Voir Catusse, M., Destremau, B., et Verdier, E. (2009), *L'Etat face aux débordements du social au Maghreb*, Paris, Aix-en-Provence, KARTHALA, IREMAM, 456 p.

الجزائرية أمام تحديات العولمة: التكوين المهني كعنصر منافسة" (عزيز نافع، باحث CREAD)، و لترح مسألة "الحماية الاجتماعية و سياسات التشغيل في الجزائر" (مراد مولاي الحاج و نوار فؤاد) و لترض تقييم حول "راهن المهن التقليدية: حالة صناعة النسيج في تلمسان" (مصطفى مجاهدي) و حول "مهنة الصيد البحري بالغزوات و استراتيجيات التشغيل" (مراد مولاي الحاج)، لتنتهي ببعض لنتائج دراسة ميدانية قام بها فريق البحث المنظم للملتقى حول "التكامل الصعب بين التكوين و التشغيل: العوائق في قطاع البناء و الاشغال العمومية في ولايات وهران، تلمسان و غليزان".

طرح المحور الثالث مسألة العلاقة بين "التعليم و التكوين"، و قد جاءت المداخلات معالجة لواقع التكوين في التعليم العالي، في مراكز التكوين المهني و في مراكز تكوين الأساتذة والمربين المختصين. عالجت المداخلة الأولى و الثانية و الثالثة حالة علاقة "التكيف بين سوق العمل و التعليم العالي في النظام ل.م.د" (عقيلة خباب)، "المشروع المهني للطالب في نظام ل.م.د" (عبلة رواق) و "تكوين الأساتذة بين القطاع المكون و القطاع المستعمل" (زبيدة سنوسي). بينما تطرقت المداخلات الباقية إلى مسألة "البكالوريا المهنية في الجزائر: قصة مولود ميت" (عائشة بن عمار، إلى "إشكالية تكوين مربي و مربيات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في الجزائر" (صلاح الدين تغليت) و إلى "مقاربة لواقع التكوين المهني في تلمسان" (منور معاريف).

حُصص المحور الرابع لترح العلاقة بين "التكوين و الاندماج المهني"، و قد تطرق الباحثون المشاركون لـ"مهام المدارس العليا للأساتذة في التكوين القاعدي و التربية" (سيد علي ريان)، "مدى تحقيق مؤسسات التكوين المهني للكفايات المهنية لدى خريجها، حالة مدينة سطيف" (توفيق سامعي) و لـ "تقييم قابلية التشغيل للشهادات: عرض نتائج تحقيق ميداني بجامعة سكيكدة" (فريدة بن عيسى و نورة شبلي).

اختتم الملتقى الوطني بأشغال الجلسة الخامسة الموسومة "مناقشات عامة"، و قد حاولت هذه الأخيرة أن تفتح أفقا بحثية سواء من خلال مداخلة بحثت عن رصد "العلاقات الممكنة بين الموارد البشرية و رأسمال المعارف" (صديق بخوش) أو ضمن الحديث عن "العلاقة بين الكفاءات، التكوين ومسألة الحراك المهني في سوناطراك" (عمر درأس)، أو في سياق تناول "العلاقة بين الإصلاحات

الهيكليّة و التكوين المهني المتواصل" (علي طاجين). نشر أعمال الملتقى و وضعه في متناول الباحثين، الطلبة و المسيرين لسياسات العمومية للتكوين و التشغيل كانت أهم توصية أجمع عليها الباحثون المشاركون.

لم تخرج الأوراق البحثية المقدمة في هذا الملتقى عن سياق إشكالية العلاقة بين التكوين و الشغل في العموم، لكن أهم ملاحظة يمكن الإشارة إليها هو الحضور الدائم " للشباب " كفاعل اجتماعي مباشر بالنسبة لإشكالية الملتقى، سواء من حيث دراسة مواقفه من بعض السياسات العمومية للتشغيل و التكوين، كما صاغتها أوراق الباحثين المشاركين أو التي عبرت عنها مداخلات المكلفين بالبرمجة على المستوى المركزي و بالتنفيذ مختلف على المستوى المحلي. يكتسي حاليا البحث فيما يريده الشباب من "عمل" و ما يعتبرونه معبرا عنه، و البحث فيما يرضيه لنفسه من "تكوين" و ما يعتبرونه أهمية بالغة، تتجاوز إطار وضع حوصلة للاستراتيجيات الفردية، العائلية و الجماعية للشباب لتصل إلى مقاربة المعاني الاجتماعية والثقافية و الدلالية لكلمات مثل "عمل"، "خدمة"، "المستقبل". و هذه هي النقطة الأساسية التي ركزت عليها وثيقة الحصيولة العلمية للملتقى.

فؤاد نوار

ملتقى دولي "طرق الإيمان"، أبو مدين مشكاة على الدرب، المنظم من طرف جامعة تلمسان و مركز البحث في ما قبل التاريخ الأنثروبولوجيا والتاريخ CNRPH، أيام 18، 19، 20 و 21 ديسمبر 2011

نظّم هذا الملتقى في طبعته الثامنة، من طرف جامعة تلمسان و مركز البحث في ما قبل التاريخ الأنثروبولوجيا والتاريخ CNRPH، وقد جرت فعالياته العلمية على مدار أربعة أيام: 18، 19، 20 و 21 ديسمبر 2011، وضم ما يقارب 70 مداخلة، بعضها من الجزائر، وكثير منها من آسيا (الهند، باكستان والجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي سابقا...) وبعضها الآخر من المغرب الكبير وشبه الجزيرة العربية و أوروبا. و تضمن الملتقى ثلاث عشرة جلسة، مقسمة إلى خمسة محاور إشكالية هي: منابع التصوف المغربي، طريقة

أبي مدين ماضيا وحاضرا، ابن عربي والإرث المديني، كينونة التصوف. وأخيرا التصوف في العالم.

بداية، اعتبر لوي ماسنيون أن التصوف ظاهرة إنسانية، ممارس بطرق وأشكال مختلفة، فمنه ما يرتبط بالدين، الغنوص وما يرتبط بالفلسفة... و في السياق الإسلامي نجد التصوف السني، التصوف الشيعي والتصوف الإشراقي. وهناك العشرات من الطرق الصوفية المنتشرة في جميع البلدان الإسلامية وفق رؤى تؤمن إما بوحدة الوجود أو تقول بالحلول... و منها من يركز على الحقائق الإلهية، أو على الحقائق المحمدية. وقد أسفرت هذه الطرق المتعددة عن نشوء تنافس بينها، وهذا التنافس بارز مثلا بين أبي مدين وعبد القادر الجيلاني، حيث دار جدال وخلاف حول اللقاء هاتين الشخصيتين والمعاني الناتجة عن إلباس الجيلاني الخرقا لأبي مدين، فهل يعني هذا أنه أعطاه الطريقة أم أن أبا مدين كان سالكا مسلكا قبل أن يلتقي به. وبالتالي، فإن لكل منهما طريقته الخاصة وأن لقاءهما فيه اعتراف متبادل. وفي هذا الصدد أوجد أبو مدين شعيب العوث الأندلسي تصوفا فريدا، ناتج عن تأثره بشيوخ الأندلس، المغرب والمشرق كالجيلاني، الحكيم الترميذي، ابن عربي الممثل للتيار الإشراقي الباطني والغزالي الممثل للتيار الصوفي الظاهري. و هذا ما جعل ابن عربي يصنفه ضمن المتصوفة الكبار، ويقول عنه -كما ذكره- شيخنا.

ومن أجل فهم نشوء التصوف في الإسلام، يمكن القول أنه قد وُجدت ضمن السياق الإسلامي ثلاثة أنواع من العلم: أولا العلم بالله الذي يمثله علم الكلام، ثانيا العلم من الله الذي يمثله علم الفقه وثالثا العلم مع الله الذي يمثله التصوف المعتمد على المحبة والشوق، إذ في هذا الإطار العرفاني يمثل الله المراد أما الإنسان فيمثل المريد، حيث أن "الإرادة تكمن في ترك الإرادة". و يدخل التصوف ضمن طرق الإيمان المتعددة، بالنظر إلى مستوى فهم المتمرس المعتنق للإسلام، فهناك بداية الإسلام، يليه الإيمان، ثم الإحسان، وآخر المراتب هي العرفان. وتتراوح الطرق الصوفية بين الممارسات الموجهة للعوام وتلك الموجهة للخواص، مع العلم أن كليهما يتضمن كلاما لغزيا لا يفهمه إلا المتصوفة أنفسهم. ومن هنا تساءل المتدخلون، ما إذا كان أبو مدين صوفيا طريقيا أم أنه صوفي حكمي فلسفي؟ ومن شروط التصوف، الزهد الشديد، السهر، الجوع (صوم الوصال)، لبس الخرقا، خدمة المشايخ وإتباع مسار الرسول (ص). وقد أشارت المداخلات إلى

الفكرة التي تربط بين السعادة وبين صحبة العارفين، إذ وكما يقول أبو مدين: «ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء»، حيث أن المتصوف يستعين بالله على نفسه، فالنفس البشرية خطيرة ومن الضروري مراقبتها، الشيء الذي يسمح بالانتقال من مستوى الشريعة إلى مستوى الحقيقة والارتقاء في مراتب الوجود عبر عدد من المحطات Les stations. وقد أشار المتدخلون إلى اضطهاد الفقهاء للمتصوفة، فقد سعت المجموعات الوهابية - من خلال لجونها لتكفير من يخالفها- إلى القضاء على التصوف، الشيء الذي تسبب في قتل الكثير من أعلام التصوف. ولكن أبا مدين استقبل بطريقة مغايرة، فقد أثنى عليه الشاطبي، رغم أن هذا الأخير انتقد مسبقا المتصوفة الآخرين، ما يدل على أن أبا مدين نجح في الوصل بين علوم الظاهر والباطن، جاعلا القرآن على يمينه والسنة على يساره وجمع في ذاته بين العلم والتصوف. واستعمل الشعر، الغناء و السماع لنشر تصوفه، الشيء الذي يسهل على عامة الناس الارتقاء بذواتهم إلى المستويات التي يبتغيها العارف. إن المتصوفة على خلاف المعتزلة مثلا، استطاعوا تمرير الخطاب المتعالي إلى العوام عن طريق الوسائل غير العقلية. وبالتالي من الضروري التركيز على "الكنائش" الغنائية من أجل تحقيق دواوين المتصوفة. وهناك ثلاثة عناصر أساسية تسمح بنشوء التصوف كمؤسسة هي: أولا الشيخ، ثانيا المريد وثالثا الطريقة.

والتصوف ليس منفصلا عن الواقع، إضافة إلى الكرامات والأعمال الصالحة لأقطاب التصوف، فقد تطرق كثير من المتدخلين إلى المعركة التي خاضها أبو مدين ضد الصليبيين، والتي فقد فيها ذراعه. كما تطرق المتدخلون إلى كون طرق الإيمان هي نفسها طرق التجارة، وهذا ما نستشفه في طرق الحج الموصولة بمحطات هي عبارة عن زوايا، أضرحة الأولياء والرباط Le relais و التي فيها كان الحجاج يستعيدون قوتهم الروحية والجسمية، ما يدل أنه في هذه الفترة لم يكن هناك توتر بين تجارة الدنيا وتجارة الآخرة.

محمد حيرش بغداد

ملتقى دولي "عبد القادر جغلول: الإنسان و الأعمال"، المنظم من طرف جامعة
وهران، كلية العلوم الاجتماعية، أيام 11 و 12 ديسمبر 2011

بعد موت الباحث والمثقف المؤسس لمركز توثيق العلوم الإنسانية CDSH
Centre Documentaire en Sciences Humaines بتاريخ 24 أبريل 2010،
نظمت جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية بتاريخ 11 و 12 ديسمبر 2011
ملتقى دوليا بعنوان: "عبد القادر جغلول: الإنسان و الأعمال". وتم تنظيم
الملتقى على مدار يومين، حيث في اليوم الأول تدخل كل من: مدين بن عمر،
موساوي عبد الرحمن، مرداسي عبد المجيد، بن قادة صادق، بخيرة محمد
حسين، قويدي محمد، مدني محمد و ملفي محمد. أما في اليوم الثاني فتدخل
كل من: سبع رابح، مزوار بلخضر، بومعزة نذير، هانري جون روبر، صادق
سالم، يلس مراد، داود محمد، براون كنت لويس، جنيكو بارنارد، فرحان
صالح، عبد الإله عبد القادر و تواتي هوارى. و ضمت عناوين المداخلات أهم
المفاهيم المتعلقة بوصف فكر الفقيه وشخصه، من قبيل المثقف المتفرد، صاحب
الفكر المكثف و الوافر، مثقف التجاوز و عدم الخضوع، الباحث عن المعنى
المزعج، الوطني الباحث عن الوطن. في حين أن أهم المفاهيم التي يمكن أن
تلخص اهتمامات الفقيه المعرفية، فتدور حول التشكيل الاجتماعي الجزائري لما
قبل الاستعمار، الأنثروبولوجيا والمصادر العربية القديمة، الاهتمام بفكر ابن
خلدون، التنظير للرباط الاجتماعي الجزائري، المسألة الثقافية الجزائرية، السياق
المغاربي و الخطاب الأدبي والهوياتي. أما أهم الشخصيات التي أثرت فيه هي:
كاتب يسين، مولود معمري و فرانس فانون...

إن شهادات من عرفوه شخصيا و تعاونوا معه علميا و ناضلوا إلى جواره
سياسيا و قاسموه أو لم يقاسموه أطروحاته، فقد تمحورت أولا حول الرواية
العائلية، ثانيا التأثير بفرانس فانون خاصة وثالثا دور المدرسة العليا ENS في
تكوين فكره. و قد نوه مدين بن عمر في البداية بأنه لا يوجد علوم إنسانية دون
الاهتمام بالانفعالات و العواطف، لذلك من الضروري التطرق للرواية العائلية لفهم
مسار المفكر فهذا الأخير، ينحدر من أعيان المجتمع، فجدّه كان قائدا في الفترة
الاستعمارية و أبوه (مسعود) عمل موظفا في عدد من محافظات فرنسا والجزائر
و تزوج من فرنسية سنة 1946، السنة نفسها لميلاد عبد القادر. و عرفت العائلة

ذهابا و إيابا بين فرنسا و الجزائر خاصة بين سنتي 1954 و 1962، السنة التي رجعت فيها العائلة إلى الجزائر المستقلة رغبة في الاستقرار. و هذا التذبذب بين دولتين لم يؤثر على تمدرس الفقيه، إذ في سنة 1964 تحصل على البكالوريا من ثانوية باستور بوهران. و عاد الفقيه لاحقا للإقامة في فرنسا من غير أن ينفصل تماما عن بلده، حينها، أراد العمل في المركز الثقافي الجزائري، فلم يوفق مسعاه، ولكنه وجد منصبا في أحد الجرائد التي تستعرض حياة الجزائريين في المهجر وتذكر بثقافتهم. و وطنيته حينها، دفعته إلى طلب بطاقة الإقامة بفرنسا (la carte de séjour) و لكن الإدارة التي تقدم لها بهذا الطلب رفضت الاستجابة لمطلبه معتبرة أنه ليس بحاجة إليها باعتبار أنه يملك الجنسية الفرنسية و الجزائرية معاً. و بعد أن عاد من فرنسا إلى الجزائر واجهته مشاكل إعادة الالتحاق بالجامعة من جديد، لأنه من الناحية الإدارية اعتبر أنه تخلى عن المنصب. و وفق هذه المعطيات توصل بعض المتدخلون إلى أن مسار الرجل أعاق اكتمال عمله الإبداعي و مساره المهني.

وخلال دراسته في المدرسة العليا تأثر بعدد من الأساتذة الماركسيين الكبار، و في هذه المدرسة وجدت مجموعتان إحداهما ذات انتماء جبهوي (جبهة التحرير الوطني) و الأخرى كانت ذات انتماء ماركسي-لينيني. و كل مجموعة كانت تنظم أسبوعيا لقاء تعرض فيه تطلعاتها و تصوراتها الإيديولوجية، و قد فضل هو أن يكون في حلقة الماركسيين. وكان حينها غير موافق على انقلاب سنة 1965، فقام مع عدد من الطلبة بتنظيم حركات احتجاجية، ما يبين بأنه وطني من طراز آخر، أي أنه كان متمردا Nationaliste hérétique استطاع نقل نفسه من الدور الجامعي إلى الدور الاجتماعي. و في أغلب الأحوال لم ينشط داخل الجامعة ولكن نقاشاته و حواراته كانت تحصل في أماكن أخرى، و بالتحديد في أحد القاعات الموجودة بشارع عربي بن مهدي. ورغم أنه تكوّن في نظام توليتاري قانع للحريات، إلا أنه كمتقف وضع نفسه في تجاوز هذا النظام، و لهذا السبب، وجد نفسه في كثير من الأحيان وحيدا. و يمكن القول أنه أثار تساؤلات، وقال كلمته في فترة صمت فيها كثيرون. و قد انخرط منذ 1973 في النشاط التطوعي الجامعي، مع البقاء ضمن مفارقة النضال الوطني من جهة و الدفاع عن الحريات من جهة أخرى. و من داخل الإعلام، و خاصة من داخل الجرائد التي كانت في هذه الفترة صوت النظام، استطاع أن يعبر عن آرائه. وعلى خلاف كثير من

متقفي جيله، خاطر بالنضال في الفضاء العمومي، في حين أن آخرين فضلوا بناء مساهمهم عبر الأعمال الأكاديمية، البحث العلمي والمناصب العلمية في مراكز البحث. و في السنوات الأخيرة من حياته، عمل بمجلة الجيش كما شغل منصب موظف سامي في الدولة. و عن قبوله للمنصب، فقد اعتبر ذلك استجابة لنداء الوطن.

و قد تميز عن غيره بأن خطابه في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين لم يكن خطابا ماركسيا، أي ذلك الخطاب الرسمي في الجامعات الجزائرية. ربما ذلك راجع إلى الأهمية التي أولاها لفرانس فانون المنتقد بشدة من طرف الماركسيين، الذين يطرحون الثورة وفق منظور علمي. حاول عبد القادر إجراء مقارنة بين الثورة كما يتصورها فانون وكما يتصورها كاسترو و شيغي فارا، مطبقا المنهج الألتسوري، لغرض البحث عن عناصر الإيديولوجيا الفانونية. و إن كان ينتمي إلى جيل أراد أن يغير العالم، فإنه كان يفكر أبعد من الآخرين و بشكل مختلف. و تنطبق عليه صفة المثقف الذي ينخرط في الفضاء العمومي و يستطيع التأثير في الرأي العام، على خلاف المثقف الذي ينتج الأفكار منعزلا عن المجتمع. وقد اعتقد الفقيه بعدم وجود أنتلجنسيا جزائرية، لأن المثقفين الجزائريين حبيسي ثقافة محدودة أو كما وصفهم « مثقفون معلقون في الفراغ »، بمعنى أنه ليس لهم عمق ثقافي محلي يمكن أن يعتمدوا عليه في بناء مجتمع جديد. و جعله هذا يعمل على الحفر والتنقيب في التاريخ للبحث عن الشخصيات الجزائرية الأصلية ليقدمها للجمهور. و في نظره يبقى الاستقلال مهددا بدون علم اجتماع تاريخي يعيد إلى الذاكرة مثقفي الجزائر، الشيء الذي يقوي البعد الوطني. و هو يضع علم الاجتماع التاريخي في مواجهة الاستعمار، بالكيفية نفسها التي وضع فيها ف. فانون علم النفس في مواجهة الاستعمار. ولهذا السبب كان مهووسا بالبحث عن الوطن، وبمجرد ما يجده في عمل أو مكان ما ينتقل للبحث عنه في أعمال وأماكن أخرى. وبذلك يمكن القول أنه اختص بالبحث عن مكونات الثقافة الجزائرية، المكونات التي يعتقد أن الجزائر لم تحسن إدارتها وتفعيلها لخدمة القضايا الوطنية. و لهذا السبب اتفق المتدخلون بوصفه بالمفكر المُشتت و الواسع، لا يهتم بالتكامل و التركيب بل ينتقل من دراسة إلى أخرى مستعملا مناهج و علوم متعددة (الأدب، التاريخ، علم الاجتماع، الفلسفة...)، وكأنه يمارس نوعا من فكر "البريكولاج".

و أشار المتدخلون أيضا إلى أن عبد القادر كان يكتب ويتكلم بالفرنسية و لم يحسن التكلم أو الكتابة باللغة العربية، و هذا راجع إلى سببين أحدهما يكمن في كون التعريب في الجزائر كان إجراء "عنيفا"، على خلاف ما حصل في تونس أو في المغرب. أما السبب الثاني فراجع إلى أن العائلة التي نشأ فيها لم تكن تتكلم العربية، و بالتالي لم يتمكن من تعلمها في صغره، وفضل لاحقا ولأسباب علمية استعمال الفرنسية التي كان يحسنها و يتقنها، وبالتالي، كانت في نظره أقدر على التعبير عن عمق أفكاره ودقتها. وقد تطرق المتدخلون إلى أحد اللقاءات العلمية المنظمة في الجزائر، أين قدّم بيريك مداخلته باللغة العربية، في حين أن جغلول كان مضطرا إلى تقديمها باللغة الفرنسية. وقد عقب جغلول على هذه المفارقة بأن اعتبر أن هذه الوضعية راجعة إلى أن الاستعمار أفقد البعض لغتهم وأكسب آخرين لغة غير لغتهم. ولكن أن نتكلم باللغة العربية لا يعني أننا أكثر وطنية من الذين يتكلمون باللغة الفرنسية، فقد كان الفقيه في نظر كثيرين وطنيا أكثر من غيره. وظلت المفارقة اللغوية تلاحقه طوال حياته، حيث أبدى إعجابه الكبير بطاهر جاووت الذي كان يتحكم في لغات كثيرة.

لقد كان الملتقى فعلا إشادة بعبد القادر جغلول بإظهار تفردّه وبالتركيز على الرسالة التي تركها لجيله وللأجيال اللاحقة. كما أنه كان فرصة لعرض الطروحات الفكرية لهذا المثقف بطريقة موضوعية تعتمد على المقارنة والنقد والبحث في جوهر المثقف الجزائري الذي يبقى متميزا في نظرنا بميزة الشمولية (تعدد الميادين والمناهج البحثية) والرهان على نوعية الإبداع والعمل الفكري لا على كميته. ولكن تظل كبوته كامنة في عدم القدرة على العمل في مجموعات بحث ومؤسسات تضمن استمرارية العمل وتحافظ على شعلة المثقف مضيئة.

محمد حيرش بغداد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بغرداية



مَجَلَّةُ الْوَأَحَاتِمْ

للبحوث و الدراسات

مجلة أكاديمية دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي غرداية - الجزائر

العدد السادس عشر



رجب 1433هـ / جوان 2012م

طبع المطبعة العربية 11 نهج طالبي أحمد غرداية